سعياً وراء إشراك أكبر عددٍ ممكن من الكتّاب في الإسهام في ملفّات الآداب القادمة، قرّرتْ هيئةُ تحرير المجلة نشرَ أوراق العمل المعدّة لهذه الملفّات قبل صدورها. وعليه، تأمل المجلّة ألاّ يقتصر المساهمون في الملفّات القادمة على مَنْ تكلّفهم بالكتابة فيها، بل أن تتّسع دائرةُ المشاركين، شرطَ ألاّ يتجاوز كلّ مقال ألفيْ كلمة. هنا ننشر ورقتَي العمل اللتيْن أعدّهما الأستاذ ياسين الحاج صالح عن «الإصلاح الديني في الوطن العربي،» والدكتور فيصل درّاج عن «ماذا تبقّى من هويّة اليسار العربي اليوم»؟

الآداب

في شأن المشكلة الدينية والإصلاح الديني (شتاء العام ٢٠٠٩)

يبدو أكيدًا أنّ ثمة مشكلةً دينيةً إسلامية. فمن جهة، ثمة حركاتٌ إسلاميةٌ تَجْنح إلى العنف، أو تسعى إلى فرض ما تعتقده «الشريعةَ» الإسلاميةَ على مجتمعاتها. ومن جهةٍ أخرى، تَصْدر بين حينٍ وآخر فتاوى هاذيةٌ تشير إلى اغترابٍ تامٍّ لمُصْدريها عن العصر الذي يعيشون فيه. ومن جهةٍ ثالثة، تسجّل العلاقةُ بين جماعاتٍ منتسبةٍ إلى المتن الإسلامي درجةً من انعدام الثقة والتنازع الطائفي العنيف غيرَ مسبوقةٍ في العصر الحديث. وأخيرًا، يتبيّن المرءُ، وبسهولة، فوضى عارمةً في المجتمعات الإسلامية على مستوى الفكر والممارسة الدينية، وعلى مستوى كثرة الحركات المنتسبة إلى الإسلام، وعلى مستوى فهم علاقة الإسلام بالحداثة.

إلى ذلك، يبدو الإسلامُ عنوانًا لسوءِ تفاهمٍ عميقٍ بين المسلمين والعالم، لا بينهم وبين الغرب وحده.

ثمة مشكلةٌ دينيةٌ إسلامية حقّاً!

كيف نَصُوغُها في مسألة فكرية واضحة؟ وكيف نعالج هذه؟ أيُّ معنًى ممكن للإصلاح الديني الإسلامي؟ وما هي شروطُه؟ وهل هناك علاقةٌ خطّيةٌ وبسيطةٌ بين الإصلاح الديني والديمقراطي والعَلمانية والنهوض الثقافي وتحسُّن علاقتنا بالعالم، كما يبدو مضمَرًا أو مصرَّحًا به في كتاباتٍ تطرّقتْ إلى هذا الشأن؟ ألا يُحتمل أن يكون من شأن تقدّمنا على مستوى الحريات والتنمية والعدالة الاجتماعية أن يَدْفع الدينَ إلى الانصلاح، وألاّ يهمّشَه نسبيّاً، كما سبق أن شَهِدْنا جزئيّاً في خمسينيات القرن العشرين وستينياته، بل منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى؟ لكنْ، هل نستطيع فعلاً أن نتقدّم من دون ترتيب علاقتنا بالإسلام على أسسٍ واضحةٍ وعقلانية؟

ثم، ألم يَجْرِ إصلاحٌ دينيّ إسلاميّ على يد أمثال الأفغاني وعبده والكواكبي ورضا...، وقبلهم محمد بن عبد الوهّاب؟ ولِمَ لا نرى أنّ منظمة «القاعدة» وريثةٌ لـ «الإصلاح» الوهّابي؟ وأنّ الإخوان المسلمين خرجوا من عمامة محمد عبده بتوسُّطِ رشيد رضا؟ وأنّ عصرَنا هذا وما يعتمل فيه من عنفٍ قد يُنْظر إليه يومًا كعصرِ إصلاحٍ دينيّ إسلاميّ، إنْ تذكّرْنا أنّ الإصلاحَ الدينيّ المسيحيّ كان عصرَ عنفٍ هائلٍ وتعصّبٍ وحروب؟

وأيضًا، هل يَقْبل الإسلامُ إصلاحًا؟ هل كان لورد كرومر على حقّ حين قال إنّ الإسلام غيرُ قابلٍ للإصلاح، فإنْ أُصلح كفَّ عن كونه إسلامًا؟ وهل لا سبيلَ إلى تقدّمنا، إذنْ، إلاّ بإضعاف الإسلام؟ وكيف يتأتّى ذلك؟

هذه أسئلةٌ غيرُ ملزمة للمشاركين المحتملين، الغرضُ منها تحريضُ التفكير في المشكلة الدينية الإسلامية وسُبُلِ إصلاح الإسلام. والأملُ أن يَخْرج ملفُّ مجلة الآداب هذا بأفكارٍ مبتكَرة، تُثْري العقلَ، وقد تجد يومًا سبيلَها إلى التحقّق في حياة الناس.

ياسين الحاج صالح
(دمشق)

ماذا تبقّى من هويّة اليسار العربي اليوم؟ (ربيع العام ٢٠٠٩)

لم يكن صعبًا منذ بداية عشرينيات القرن الماضي، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية بخاصة (١٩٣٩ ـ١٩٤٥)، تحديدُ هوية اليساري العربي ، حزبيّاً كان أو غيرَ حزبي: فهو يعتنق الماركسيةَ ويرى فيها منظورًا متكاملاً للعالم ، ويدافع عن المعسكر الاشتراكي وطليعتِه الاتحادِ السوفييتي، ويرى في الصراع الطبقي بين البرجوازية والطبقة العاملة مرجعًا للمجتمعات جميعِها، ويعادي الإمبرياليةَ وحلفاءها والقوى الرجعيةَ في كلّ مكان.

ومع أنّ هزيمة حزيران التاريخية عام ١٩٦٧، كما حربُ فيتنام وصعودُ المقاومة الفلسطينية، أتاحت، ولو بقدْرٍ، الحديثَ عن هويةٍ يساريةٍ جديدة ـ هي قرانٌ سريعٌ بين الماركسية والقومية ـ فإنّ «الهويةَ الأصليةَ» حافظتْ على عناصرَ أساسية: الكفاحُ من أجل ثورةٍ اجتماعيةٍ أفقُها الاشتراكية، والالتزامُ بالماركسية في أطيافها المختلفة، ومعاداةُ الإمبريالية والصهيونية بشكلٍ حاسمٍ لا اضطرابَ فيه، واعتبارُ الوحدة العربية القادمة ضرورةً تاريخية.

وواقعُ الأمر أنّ «الشيوعية العربية،» كما اليسارُ العربيُّ بعامةٍ، بدأتْ بالأفول قبل أن تتراجعَ في أماكنَ أخرى من العالم. فقد هَزمتْ حربُ حزيران جميعَ القوى التحررية في العالم العربي، وأنتجتْ، سريعًا، الشروطَ الموضوعيةَ لتوطيد هذه الهزيمة وإعادة إنتاجها. فإضافةً إلى اتساع القمع وصعود «الإسلام النفطي،» تمّ التواطؤُ للإجهاز على الحزب الشيوعي السوداني، وجاءت الحربُ الأهليةُ في لبنان، والحصارُ الدموي المنظَّم للمقاومة الفلسطينية، واعترافُ مصر ـ السادات بإسرائيل، وصولاً إلى احتلال الجيش الصهيوني للعاصمة اللبنانية عامَ ١٩٨٢.

هُزم اليسارُ العربي، بأطيافه المختلفة، مع هزيمة المشروع الناصري. وجَعَلَه «جمودُه التاريخي» (الصادرُ عن أسباب مختلفة) عاجزًا عن التصدّي للهزيمة والتصريح بها. ففي مواجهة تحوّلاتٍ اجتماعيةٍ وسلطويةٍ كاسحة، لم يستطعْ هذا اليسارُ تجديدَ ذاته، وبقي متمسّكًا بشعاراتٍ متكلّسة (مثل «الطريق الرأسمالي») وتحالفاتٍ مميتة، إلى أن تحوّلَ إلى مجموعةٍ من الظواهر الشكلانية التي لا تؤثّر في المجتمع ولا تتأثّر به. وما إنْ سقط الاتحادُ السوفيتي، مَرْجعُ اليسار العالمي ومركزُ ثقله، حتى كان اليسارُ العربي قد سَقَطَ قبل سقوطه، كما لو كان «بقيًا» من الماضي ، منقطعًا عن الحاضر والمستقبل معًا.

السؤال الآن: هل أصبح المجتمعُ العربيُّ اليومَ لا يحتاج إلى الفكر اليساري، أمْ أنّ الفكر اليساري قَبِلَ بهزيمةٍ نهائيةٍ وآثر الرحيلَ؟ يجيب المجتمعُ في تدهوره المأساوي عن هذا السؤال بأشكالٍ مختلفة: الغلاءُ الفاحش، واتّساعُ الفقر، وزوالُ الحريات المختلفة، وغيابُ حقوق الإنسان، وارتفاعُ نِسَبِ الأميّة، وهزيمةُ الثقافة والقيم الثقافية، وتسييسُ الدين ذرائعيّاً، وتديُّنُ السياسة بشكلٍ أكثرَ ذرائعيةً، وانطفاءُ دوْر النقابات والمنظّمات الاجتماعية، وتقوّضُ المجتمع المدني، وتلاشي الوحدة القومية، وصعودُ الطائفية، والغطرسةُ الصهيونية، وتفكيكُ العراق...

تَطْرح هذه الظواهرُ على «ما تبقّى من الانتماء اليساري» الأسئلةَ التالية: لماذا لم تَقُم «القوى اليساريةُ،» على المستوى النظريّ، بمراجعةٍ نقديةٍ أو بما هو قريبٌ منها؟ لماذا لم تقترحْ على المستوى السياسي ـ الاجتماعي برامجَ تردّ على المستجدّات المتعددة؟ هل ما زالت الماركسيةُ صالحةً كأداةٍ للنظر والعمل، أمْ أنّه ينبغي التخلّي عنها أو مزجُها بأفكار أخرى؟ ألا يزال ممكنًا اليومَ الحديثُ عن الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي؟ وهل لكلمة «اشتراكية» معنى أو دلالة؟ وهل تستطيع «بقايا القوى اليسارية» أن تقوم بتحالفاتٍ فاعلة؟ وما الذي يميّز اليساريَّ من الليبرالي الجديد؟ وأخيرًا: هل لجميع هذه الأسئلة الآن معنًى؟ وإذا كان لها، أو لبعضها، معنًى حقيقيٌّ أو مفترَضٌ، فما هي الأسئلة الأكثر أهميةً من غيرها؟

تَطْرح مجلةُ الآداب هذه الأفكارَ مدفوعةً بدافعيْن: أولُهما التحريضُ على حوارٍ جديرٍ بتاريخ القوى اليسارية التي لعبتْ، في الماضي، دورًا فاعلاً في الدفاع عن المجتمع وحقوقه المدنية والوطنية. وثانيهما «الردُّ الجزئيّ» على واقعٍ عربيّ متداعٍ غائمِ الأفق.

ربما يكون في الإجابات التي نتطلّع إليها ما يساعد، ولو بقدْرٍ، على تأمُّل سؤالنا الأساس: ما هي هويةُ اليسار العربي اليوم، وهل من الممكن أن يكون لها مستقبلٌ أو أفق؟

فيصل درّاج
(عمّان)